تاريخ شعراء العربية

العصر العباسي الثاني

ابن منير الطرابلسي



اعداد

الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مَوْلِدُه ونشأته

وُلِدَ مهذّب الدين ، أبو الحسين ، أحمد بن منير سنة ٤٧٣هـ في طرابلس الشام ، وكانت طرابلس -مثلها مثلُ سَلَمْيَةَ وتدمر ، من مراكز نشر الدعوة الإسماعيلية الفاطميّة وكان أبوه (منير بن مفلح) رقيق الحال ، فقيراً ، فكان ينشد القصائد في أسواق طرابلس .

وفي هذا الثغر الذي كان مهدّداً بالأعداء من البَرّ والبحر نشأ ابن منير ، وتعلّم القرآن الكريم ، وأحكام الفقه ، وألَمَّ بعلوم اللغة والنحو والعروض ، وقال الشعر .

الرّفّاء

كان أحمد بن منير الطرابلسي يلقّب بالرَّفّاء[1] ، ذلك لأنه احترف في مطلع حياته الرَّفْو وإصلاح الثياب .

مشربه وهجاؤه

قال الدكتور عمر موسى باشا : "أجمع الأقدمون[2] على أنّه كان شيعيّاً مغالياً وقالوا عنه إنّه كان رافضياً خبيث اللسان كثير الهجاء ، فخافه الناس ورهبوه[3]" .

(١) وهو غير الشاعر "السّرِيّ الرّفّاء" المتوفى بحدود ٣٦٠هـ ، واسمه السرِيّ بن أحمد الكندي المَوْصلي ولادته في الموصل ، وعاش مدّة في حلب ، ومات ببغداد .

(٢) وفيات الأعيان ٤٩/١ ، وتاريخ دمشق ٩٨/٢ .

(٣) أدب الدول المتتابعة الطبعة الأولى ، ٢١٢ .

مهاجرته من طرابلس إلى دمشق

حاصر الصليبيون طرابلس سبع سنوات حتى دخلوها سنة ٥٠٣هـ ، فنزح أهلها إلى داخل الشَّام ، ورحل أحمد بن منير إلى دمشق ، آسفاً على طرابلس ، واتَّصل في دمشق بتاج الملوك بوري بن طغتكين ، فمدحه وحظي لديه ، لكنّه استغلّ حظوته لدى بوري ، وتمكُّنَهُ عندَه ، سبيلاً إلى هَجْوِ أكابر الدولة وكرام أهلها ، فأحفظهم هجاؤه المُقْذِع وشعره الفاحش ، فسَعَوْا فيه عند تاج الملوك بوري ، حتى تغيّر عليه واعتقله ، وأمر بتعذيبه ، وبقطع لسانه ، ولكنْ شفع له الحاجب يوسف بن فيروز ، فسرَّحه ملك دمشق ، شريطة أن يغادرها إلى أيّ مكان يختاره .

عودة إلى دمشق

بقي الشاعر بعيداً عن حاضرة ملك آل طغتكين حتى وفاة تاج الملوك سنة ٥٢٦هـ ، فلما وُلّي ابنه إسماعيل عاد ثانية إلى دمشق ، واستقرَّ فيها مدّة من الزمن ، لكنّ صاحبها الجديد سَرْعان ما تغيّر عليه أيضاً ، وأرسل في طلبه ، ليصلبه ، لكنّه هرب من بيته ، واختفى في مسجد الوزير أيَّاماً ، فلمّا أُتيحتْ له فرصة خرج من دمشق ، واتّجه إلى الشّمال ، وصار يتنقّل بين حلب وحماة وشيزر .

عودة أخرى إلى دمشق

عاد الشاعر إلى دمشق مرّة أخرى ، لكنّه ما مكث فيها طويلاً ، وفرَّ للمرَّةِ الثالثة خوفاً من الوزير مؤيّد الدولة بن الصوفي وزير مجير الدين آبق ، ورحل إلى حكام شيزر من آل منقذ .

وحاول قائد الجيش في دمشق معين الدين أنر أن يسترجعه ، وبعث وراءه بزين الدين بن حليم كيما يقنعه بالعودة إلى دمشق ، لكنّ الشاعر لم يستجبْ إليه .

أسباب مطاردته في دمشق

-قيل إنّ إسماعيل بن بوري أراد صَلْبه بتُهْمة الزَّنْدقة ، ولكنّ الشاعر هرب كما رأينا و لم يُصْلب .

-وقيل إنّ كثيرين مقتوا تهتّكَه ومجونه ، ومصارحته بالحبّ الشاذّ لغلام له فارسي النِّجار اسمه "تترّ" ، وهو يذكره كثيراً ، لكنّ طريقة ذكره له كانت تثير أحياناً الشيعة أنفسهم من أهل مذهبه ، وأحياناً كانت تثير مشاعرَ كلّ مسلم من أهل القِبْلة ، إذا سمع قول ابن منير في معشوقه :

لا وحُبِّيكَ لا عبدتُكَ سراً ليلُ صُدْغيك صيّر اللّيل ظُهْرا[1]
أنا من أجل خَدّه دِنْتُ للنّار - وفي خاله عبَدْتُ الشّعْرَى[2]
فضَلالِي بعد الهدى في هواهُ هو عندي خيرٌ وأعظمُ أجْرا

أن ُيقسم امرؤٌ بحبه لمخلوق ، ويصارح بعبادته له ، وللنار ، ولنَجْم الشِّعْرى ، لا لربّ الشعرْى ، وإيثار الكفر على الإيمان ، والضَّلالة على الهداية : زندقةٌ مُبينة ، تستحقّ الصَّلْب بحسب أوامر إسماعيل بن تاج الملوك .

---

(١) جمال محبوبه كان أقوى -في زعمه- من أن يستطيع كتمان حبّه .

(٢) الشّعري : نجم عظيم في السَّماء . والخال : شامة كبيرة قد تظهر في وجوه بعض الناس أو أجسادهم .

-وسلاطة لسانه ، وخباثةُ عباراته ، واستعماله في الهجاء كلمات نابية ، وإكثاره من القدْح والطّعن والتشهير ... كلُّ ذلك ألّب عِليَةَ القوم عليـه ، وهـو لم يتورّعْ أن يتعرّضَ لهم بهجائه .

وذو الكرامة يأبى أن يهجوه مخلوق ، وفي حياتنا اليومية حوادث جسيمة سببها الأوّل قد يكون شتيمة أو مسّاً لكرامة أحد ، فما بالكَ إذا قـال ابـن منـير في مهجُوِّهِ :

رغيفُـــهُ مِـــنْ ذَرَّةٍ	يصنعـه أو أصغـرا
مبيّتـــاً ملفّفـــاً	مُبَرْيَقـاً مُبَيْكَـرا
لو جاز في عين الذي	يأكلُــه لمـــا دَرى
أو بَلَـعَ الصـائم ألفـاً	- مثلَـه مـا أفْطَـرا
كأنّمـــا خبّـــازُه	بـه تحـدّى البَشَـرا
فهـاتِ قُـلْ : أعرَضـاً	تجـدُه أمْ جَوْهـرا ؟

وكان ابن القيسراني كما ذكرت بعض الروايات قد استنكر علـى ابـن منير سلاطة لسانه ، ولجَّ بينهما التهاجي حتى شُبّها بجرير والفرزدق ، مـع أنّ المنقول عن ابن القيسراني أنه أعرَض عن منافسِه وآثر طريقـة الصَّحابـة رضـوان الله عليهم في الترفُّع عن الدنايا ، بحسب ما ذكر في بيتين له .

-وممّا ذُكِرَ مـن أسباب مطاردتـه لا تشيُّعُهُ ، وإنّمـا غلـوُّه في التَّشَـيُّعِ والرَّفْض ، وكان على صلة بنقيب الأشراف في بغداد ، أحيانـاً يذهـب إليـه هـو نفسُه ، أو يرسَل إليه مبعوثاً خاصّاً في أحيانٍ أخـرى ، كمـا حـدث حـين وافـاه بهديّة مع مملوكه تتر ، فقَبِلَ نقيب الأشراف هديّته ، واستبقى عنـدَه المملـوك ، وفي نيّته أن يعوّض ابن منير أضعاف قيمته ، لكنّ الشاعر لم يَرْضَ أن يتخلّى عن

تتر ، "وهو معشوقه الذي اشتهر في الخافقين غرامه به" كما قال ابن حجّة[١] . وكتب ابن منير رسالة إلى الشريف الموسوي (نقيب الأشراف) يهدّده فيها إنْ هو لم يرسل إليه (تتر) على الفَوْر بالارتداد عن مذهب الشيعة وموالاة بني أميّة ، وبتصحيح خلافة العُمَرَيْن (أبي بكر وعمر) رضي ا لله عنهما ... :

إنّ الشريفَ الموسويَّ – بنَ الشريفِ أبي مُضَرْ
أبدَى الجحودَ ولم يَرُدَّ – إليَّ مملوكي تترْ
والَيتُ آلَ أميَّةَ – الطُّهْرَ الميامينَ الغُرَرَ[٢]
وجحَدْتُ بيعةَ حَيْدرٍ – ورَجعْتُ عنه إلى عُمَرْ[١]
وإذا جرَى ذِكْرُ الصَّحابةِ – بين جَمْعٍ واشْتَهَرْ
قُلْتُ المقدَّمُ شَيْخُ تَيْمٍ – ثم صاحبُه عُمَرْ[٢]
فاخْشَ الإلهَ بسُوءِ فِعْلِكَ – واحتَذِرْ كلّ الحَذَرْ

على أنّ مغالاته في مشْرَبِه كانت ذائعة عنه ، ومن أجل هذه المغالاة ، من جهة ، ومعاملته الجافية لأصحابه ، وسلاطة لسانه ، ومسارعته إلى الهجاء ، من جهة أخرى ، قلاه كثير من أصدقائه ، وكرهوا معاشرته ، وانعكس ذلك في شعره ، فهو يتحدّث عن تقلب الأصدقاء في أكثر من موضع .

---

(١) خزانة الأدب ١٤٦ .

(٢) الميامين : أصحاب الحظوظ الموفّقة .الغرر : المشرقو الوجوه .

(٣) حيدر سيدّنا علي رضي ا لله عنه .

(٤) شيخ تيم : أبو بكر رضي ا لله عنه .

تغيُّرُ أصدقائه

ليتَ يوماً وُلِدْتُ فيه لم يَأْتِ ، فكم ألقى من أهل زماني من معاملة قاسية ، ومواقفَ مُرَّة ، ومِمَّنْ ؟ من أناس كنتُ أنا اصطفيتُهم ، ألا إنـي الآن لأتمنّى صديقاً واحداً مُخْلصاً لي ، إذاً لقدّمْتُ له روحي ثمناً . لكنّني لم أجد حتى اضطُررت أن أعاشرَ من لا أرتاح إليهم وأنا مضطرّ اضطراراً ، لئلا أعيش وحدي :

عدمْتُ دهراً ولدت فيه	كم أشرتُ المرّ من بنيه
ما تعتريني الهمومُ إلَّا	مِنْ صاحبٍ كنتُ أصطفيهِ
فهل صديقٌ يُباعُ حتّى	بمُهْجتي كنتُ أشتريه
يكونُ في قلبه مثالٌ	يُشْبه ما صاغَ ليَ فيهِ[1]
وكم صديقٍ رغبْت عنه	قد عشت حتى رغبت فيه

إنّي قد فقدْتُ كلّ الأصدقاء حقيقة ، وما كنتُ أنا القاطع لحبال المودّة ، وتجرّعْتُ غُصَصَ الوحشة ، فتوسّلْتُ لاتّقائها بالارتحال ، ولست أوّل من غادر محلّته لإزعاج أهلها له ، بل كل مَنْ يشعر في موطن بأنه مُهمْل خامل فأولى به أن يرتحل عنه وما مثله في ذلك إلّا كمثل القمر ، إذا أصابه السِّرار في آخر الشَّهر تحوّل عن مكانه فإذا هو عمّا قليل بدرٌ منير .

لقد ساءت أحوالي ، وضاقتْ علي وعلى ركابي المعيشة فعلام لأضرب في الفيافي ؟ الفِراقَ الفِراقَ ؛ إنَّ السيف يبقى في قِرابه خاملاً حتى يُخرج منه ، وأجدرُ بك أن تهجر كل ما يؤذيك ، فتبقى لك عند القوم ذكريات طيبة ، وعندئذ لاتسقي أحداً منهم العسل ويسقيك المرّ والعلقم ، وماذاك

(١)يتمنى لو يحظى بصديق مخلص القلب له كإخلاص قلب الشّاعر لذلك الصديق .

إلّا لفساد طويّته ، وعدم إخلاصه في صداقته ، وتفسيره لحرصك على صداقته بأنّ لك من ورائها مآرب ما .

ولقد بلوْتُ هذا الزمان وأهله ، فما وجدت الناس إلا نَقَصَةً جُبلُوا على اللؤم والخِسَّةِ ، إنْ سمعوك تقول شيئاً ارتابوا في بُغيتك ، وظنّوا بكَ الظُّنون ، وإن وجدوك صامتاً تُؤْثِرُ السَّلامة وتريد العافية أنطقوك بَمَيْنهم ، وافتَروا عليك أقوالاً ، وأنت ساكت لم تنبسْ ببنت شفة !

فهل علموا أيَّ شخص يكيدون .؟ إنّني إنْ سُمْتُ ذُلّاً (أو عُرِضتْ عليَّ الدنيا) طمحتْ بي نفسي إلى المعالي ، وأَبَيْتُ الذّلّ مُفيداً من سعة تجاربي في الخطوب والمحن ، والسَّرّاء والضّرّاء ، والأقوال والأعمال :

أخلَى فصدَّ عن الحميم وماالختلى ... ورأى الحمامَ يغصُّهُ فتوسّلا[1]
ما كان واديه بأوّل مَرْتَعٍ ... ذعَرَتْ طَلاوتَه طَلاه فأجفلا[2]
وإذا الكريم رأى الخمولَ نزيلَه ... في منزلٍ فالحزْمُ أنْ يترحَلا
كالبدر لمّا أن تضاءَل نُوْرُهُ ... طَلَبَ الكمالَ فحازَه متنقّلا
ساهمْتَ عِيسَك مُرَّعَيْشِكَ قاعداً ... أفلا فَلَيْتَ بهنَ ناصيةَ الفَلا[3]
فارق تَرُقْ كالسيف سُلَّ فبان في ... متنَيْه ما أخفى القِرابَ وأخْمَلا[4]
لا تَرْضَ مِنْ دنياك ما أدناك مِنْ ... دنَسٍ ، وكنْ طَيْفاً حَلا ثم انْجلَى[5]

---

(١) أخلى : تفرّج . اختلى : قطع .الحِمام : الموت .
(٢) الطّلاوة : الحسن والرّونق ، والكلأ القليل . طلاه : ظبْيه .
(٣) ساهمت : شاركْتَ ، تقارعت بسَهْم . العيس : النوق . فَلَى : قطع .
(٤) القِراب : غمْد السيف ، جَفْنه .
(٥) الطّيْف : ما يراه النّائم .

وصِل الهجيرَ بهَجْرِ قومٍ كلّما أمْطَرتهمْ عَسَلاً جَنَوْا لكَ حَنْظَلا[1]
مِنْ غادرٍ خَبُثَتْ مغارسُ وُدِّهِ فإذا مَحضْتَ له الولاءَ تأوَّلا[2]
للهِ علمي بالزّمانِ وأهلِهِ ذنبُ الفضيلةِ عندهم أن تكمُلا
طُبِعُوا على لُؤْمِ الطِّباعِ فخيرُهمْ إنْ قُلْتُ قالَ ، وإنْ سَكَتُّ تقوَّلا[3]
أنا مَنْ إذا ما الدّهرُ همَّ بخفضِه سامَتْه همّتُهُ السِّماكَ الأَعزلا[4]
واعِ خطابَ الخَطْبِ وهو مُجَمْجِمٌ راعٍ أكلَّ العيسَ من عدَمِ الكَلا[5]
زعْمٌ كمُنْبلجِ الصّباحِ وراءَه عَزْمٌ كحدِّ السّيفِ صادفَ مقتَلا[6]

التَّقِيَّة

تَطَرُّفُ الشاعرِ في مشربه ، ومغالاته فيه ، أورثاه نقمة مَنْ حوله ، وتجافيهم عنه ، وازورارَهم عن صحبته ، فأراد أنْ يتملّص من الصِّبْغة التي علقتْ به ، ليكون على وفاق مع البيئة التي يعيش فيها .

وبدا هذا التملُّص في أمرين : رسالته إلى الشيخ تقي الدين أمين الملك سلامة بن يحيى البققي ، أبي الخير ، كبير شيوخ حماة في عصره . وفي علاقته

(١) حنظل : نبات مرّ .
(٢) محضْت : أخلصْتَ .
(٣) قال : ظنّ ، شكَّ . تقوَّل : افترى .
(٤) الخَفْض : سعة العيش ، والمطمئنّ من الأرض . السِّماك : السماء .
(٥) الخطب : النائبة ، المصيبة . مُجَمْجِم : مُغَمْغِم .
(٦) إذا ادّعى شيئاً كان تحقيقه كفلق الصبح ، وهو يؤيّد ادّعاءه بعزيمة وطيدة ماضية تشبه حدّ السيف .

التي نمّاها مع الزنكيّين . وهو في الأمرين بقي على معتقده ، لكنّه مارسه على نحو لا يصطدم فيه بالوسط من حوله ، ولا يغالي في مذهبه . وقد نجحت هذه الطريقة التي سلكها .

رسالته إلى أبي الخير سلامة بن يحيى

قُلْ لابْنِ يحيى مَقالَ غيرِ غَوِي ... اِشْهدْ من الآن أنني حموي
لا رافضيَ غَثٌّ أقيم على الشيخَين – سُوق البهتان ، بل أموِي
لم أنتفعْ مُذْ أقمْتُ في حلب – طرفة عين بأنني علوي
وأنّ قلبي جَوٍ لأيّام صِفّينَ – ودائي من كربلاءَ دوِي[1]
يصنَعُ بي كهلُها ويافعُها ... ما يصنع الحنبليُّ بالثنوِي[2]
كأنّما عاينوا معاويةً ... يلوح من نَقْش فَصّي الغرَوي[3]
لا أدبٌ عاطفٌ على أدبي ... بل كلٌّ وَجْه دنوتُ منه زَوٍ[4]
فالرزق لا مُصقَبٌ ولا أَمَمٌ ... حتى كأنّي خُلِقْتُ غيرَ سَوٍ[5]

مع الزّنكيّين

أيقن ابن منير أن النظرة البعيدة أولى له ، وأنفع ، إذْ كانَ واقع المسلمين في صراع دامٍ مع الصليبيّين ، فعلام لا يسخّر أدبه من أجل المعركة ، ويشيد بانتصارات المسلمين على المعتدين الغاشمين ؟ وهكذا انضوى تحت لواء السياسة الزّنكيّة .

---

(١) جَوٍ : ضيّق ، مريض . دَوٍ : مريض .   (٢) الثنوي : المجوسي .

(٣) الفَصّ : ما يصاغ مع الخاتم من معدن كريم . الغروي : العجيب .

(٤) زوٍ : مُحْجم ،مُعْرِض .

(٥) مُصْقَب : مقرَّب . أمم : قريب . سو : تام الخلْقة . غير سو : عاجز .

وكان الزنكيّون أتقياء ، ينبذون التعصُّب ، ويرحّبون بأي مسلم يؤازرهم في حروبهم المقدَّسة ضدّ الصليبيّين.

عماد الدين يفتح حصن بارين

كان عماد الدين أتابكاً لألب أرسلان بن محمود السلجوقي أي وصيّا عليه ، وأولاه ذلك السلطان (محمود بن محمد بن ملكشاه) البصرة وواسطاً ، فأحسن إدارتهما ، فأراد السلطان أنْ يُعلي من مناصبه ، فأبدى عمادُ الدين رغبته في تولّي الأمصار التي كانت تشهد الحروب الصليبيّة ، فولّاه الموصل والجزيرة الفراتية والشام .

وقد وفّقه الله تعالى في استرداد جزيرة ابن عمر ونصيبين وسنجار وحران من الصليبيّين ، ثم حاصر قلعة بارين ، وخلال الحصار فتح المعرَّة وكفر طاب ، ولم ينفع الصليبيّين حملتهم الاستنجاديّة للروم والإفرنج ، فسلَّم المحاصَرُون قلعة بارين ، وقال ابن منير الطّرابلسي يصوّر انتصار المسلمين في بارين :

فدتْكَ الملوكُ وأيّامُها ... ودام لنَقْضِك إبرامُها [1]
وزلّتْ لعيشِكَ أقدامها ... ونال لبَطْشِكَ إقدامُها
ولو لم تسَلّم إليكَ القلوبُ ... هُداها لمَا صَحّ إسلامُها
أيا مُحْيِيَ العَدْلِ لمّا نَعاهُ ... أيامى البرايا وأيتامُها[2]

---

(١) دام لنقضك إبرامها : لازِلْتَ كلّما أبرموا أمراً ضدَّ المسلمين نقضْتَه نقضاً ، وأحبطْتَ مخطّطهم .

(٢) نعاه : أخبر بموته (أعلن نبأ موته) . الأيامي : النساء اللاتي لا أزواج لهنّ .

ومستنقِذ الدِّين من أمَّةٍ أزالَ المحاريبَ أصنامُها[1]
جَزرْتَ جزيرتَها بالسُّيو ف حتى تشاءمها شامُها[2]

تحرير مدينة الرها (أورفا)

كانت الرّها قاعدة لتجميع أسلحة الصليبيّين وأجنادهم وعتادهم ، وكأنّ حاكمها جوسلين اغترّ بذلك ، فعدا على شماليّ الشّام ، واستولى على عدّة مواقع ، فتصدى له عماد الدين ، ودحَره حتى فاء إلى الرَّها ، فحاصرها عماد الدين ثمانية وعشرين يوماً ثم دخلها عنْوة ، ثم حرّر بعدها الجزيرة الفراتية وشماليّ الشام .

وقال ابن منير الطرابلسي في فتح الرَّها :

وما يومُ كَلْبِ الروم إلّا أخو الذّي أزحْتَ به ما في الجَناحَيْنِ من نَبْلِ[3]
أتاكَ بمثل الروم حشداً وإنَّه ليفضل أضعافاً كثيراً عن الرَّمْلِ[4]

---

(١) أنقذ عماد الدين الإسلامَ من أهل الصليب عبدة الأصنام الذين هدموا المساجد ومحاريبها . المحراب المصلّى . (٢) جزَر : قطع .

(٣) النَّبْل : النِّبال ، يريد الأسلحة . يشبّه انتصار عماد الدين على جوسلين بانتصار الرشيد على نقفور الذي سمّاه الرشيد "كلب الروم" . والجناحان : ميمنة الجيش وميسرته . وذكر النَّبْل وأراد النَّبالة ، وهو مجاز علاقته الآليّة .

(٤) الروم : الرُّومان البيزنطيون ، وكان نقفور قد صار إمبراطوراً لهم فكتب إلى الرشيد ليوافيه بكل ما بعثتْ به إليه الملكة البيزنطيّة قبله ، فتوعّده الرشيد ، ولقبه بكلب الروم ، ثم قاتله ودحَره . يقول ابن منير : إن جوسلين أتى بأضعاف هؤلاء ، بل بأضعاف عدد الرَّمْل .

فقاتَلْتَـهُ باللـــه ثـــم بعزمـــةٍ - تَصُكُّ قلـوب العاشِـقينَ بمـا يُسْـلِي[1]
توهَّمَ أنَ الشامَ تَرْعى وما درى - بأنَّكَ أمضى منه في الشَّزْرِ والسَّحْلِ[2]
فطـارَ وخـيرُ المغنَمَيْـن مـاؤه - إذاَ رُدَّ عنــه مَغْنَــمُ المــال والأَهْــلِ[3]

ومدح ابن منير قائدَ الفتـح عمـاد الديـن بقصيـدة ثانيـة قـارن فيهـا هـذا الانتصار بانتصار المعتصم يوم عمورِيّة ومطلعُها .

صفاتُ مَجْدِكَ لفظٌ جلّ معناهُ - فلا استردَ الّذي أعطاكَهُ اللهُ [4]

ومدحه بقصيدة ثالثـة أخـرى ، جنـح فيهـا إلى الجنـاس فاستـكثر منـه ، وسخّره للعبث بأسماء زعماء الفرنجة ، وأوّلها :

بعمادِ الدين أضْحَتْ عُرْوَة الدِّيـن - معصوباً بهـــا الفتـــحُ المُبِينْ

مدحه لنور الدين

خَلَفَ نورُ الدّين محمود أباه حين استُشهد ، وكانت الرُّهــا قـد حـاولت التمرّد عليه ، فجابههم نور الدين ، وقضى على عصيانهم ، فمدَحه بقصيدته :

مَلِكٌ ما أَذَلَّ بالفَتْحِ أرضاً - قــطُ إلَّا أعــزَّه إغــلاقُــهُ[4]

ويصاول نور الديـن صـاحب أنطاكيـة الـبرنس ، ويتمكّـن منـه ، فيغلّـق رأسه قرب جسر الحديد في حلب ، فيمدح الشاعرُ أميره بقصيدة :

---

(١) تصكّ : تعطّل ، تصدم . قاتله بعزيمة تشغل العشّاق عن معشوقاتهم .

(٢) الشَّزْر : شدّة فتل الحبل . السَّحْل : عدم فتْله حين النّسج .

(٣) الذّماء : بقية الروح .

(٤) مـا أجمـل عظمتَـك ومـا أعظمَ مَجْـدكَ ، وإنّي لأسـأل الله عزّ وجلّ ألّـا يقطـع عنـك نعمـه التي وهبها لك .

(٥) كلّ أرض يخضعها نور الدين تبقى في منعَتِه .

أقوى الضَّلالُ وأقفرتْ عَرصاتُهُ   وعلا الهُدَى وتبلَّجَتْ قسَماتُهُ[1]

وله في نور الدين مدائح كثيرة أخرى ، وقد اتخذ من حاضرة ملكه (حلب) مستقرًّا له ، بعد طول تشرُّد ، وكان يقطن في درب الفاخوري عند باب الجامع الكبير (الأموي) في حلب .

والحقّ أنّ سياسة نور الدين الاستيعابيّة لكلّ مَنْ يؤثر مجابهة الصليبيّين كانت غايةً في البراعة والنَّجاح ، ومَن هنا أخلص له ابن منير ، هو إخلاص جعل نور الدين يثق به ، فيوجّهه مبعوثاً خاصّاً إلى آبق بن محمد عاهل دمشق عندما حاصرَها نور الدين زنكي سنة ٥٤٧ ، فدخلها ابن منير معزَّزاً مكرَّماً يحمل رسالة أعظم ملوك المسلمين ، وكاد من قَبْلُ يُقطع لسانه ويلقى حتفه مصلوباً في دمشق نفسها .

وكان ابن منير يتمنَّى أن يرى ذلك اليوم الذي يدخل فيه نور الدين دمشق ، فينقذها من حكم أسرة آل طُغْتكين التي آثرت التعامل مع الصليبيّين ، وأنشأتْ معهم حِلْفاً ضد المسلمين ، ولكنّ المرض اشتدّ عليه وهو في الجيش الزنكي المحاصر لدمشق ، فاضطرّ ابن منير أن يرجع إلى حلب ، ومات فيها سنة ٥٤٨هـ ، فدفن في جبل الجَوْشن (بجوار جبل الأنصاري) ، قرب المشهد .

(١) أقوى : خوى واضمحلّ . عرصاته : ساحاته . تبلّجت قسماته : أشرقت ملامحه .

خـــاتـــمـــة

يُكثر ابن منير الطرابلسي من ألوان الزخارف البديعيّة في شعره ، وبخاصّة الجناس والطباق ، وهو يفتخرُ بشاعريته إذ يقول في رسالته إلى الشريف الموسوي :

وإليكَهـــا بدويَّـــةً رقَّتْ لرقّتها الحضَـر[1]
شـاميَةٌ لـو شَـامَها قسّ الفصاحة لافتخـر[2]
ودرَى وأيقَـن أنّنـي بحـر وألفـاظي دُرَرَ[1]
وبديعتـي كبديعـةٍ عذراء ترفل بـالحِبَرَ[2]
حبَّرْتُها فغدتْ كزَهْـرِ الروض باكرَه المطَـر[3]

---

(١) إليكها : خذها .

(٢) شامها : نظر إليها . قيس بن ساعدة الإيادي من فصحاء الجاهلية .

(٣) درر : جواهر .

(٤) بديعة : امرأة حسناء . الحبر : جمع حبرة ، وهي ثوب فاخر .

(٥) حبّرْتها : زيّنتها .